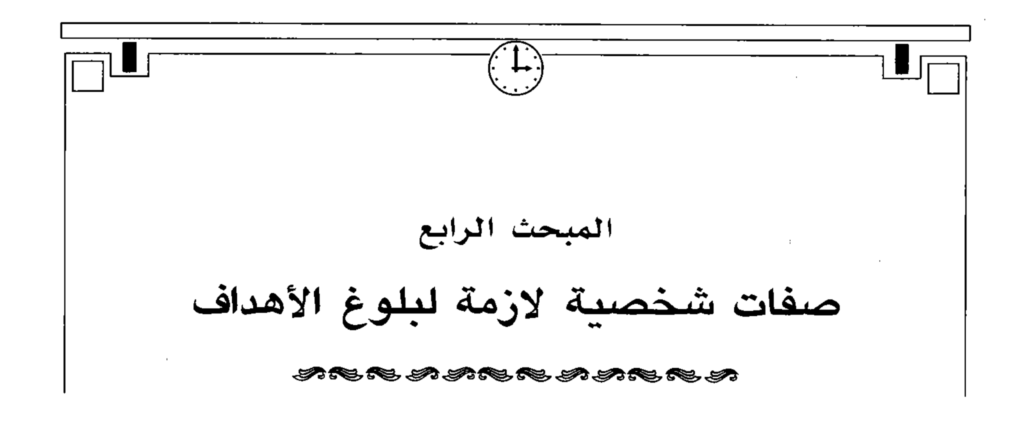


المبحث الرابع

صفات شخصية لازمة لبلوغ الأهداف

مقدمة المبحث الرابع

لقد تعرضت في المباحث الثلاثة الماضية إلى التخطيط كآلية للتحكّم بالوقت ومسيرة الحياة، ثم تناولت موضوع الأهداف، ثم منهجية التخطيط لبلوغها، لكن القيام بالإجراءات اللازمة لعملية التخطيط قد لا توصل الفرد لأهدافه ولو قام بالتخطيط لها على أكمل وجه، ذلك لأنه مطالب بأن ينفّذ خططه ويسير عليها في خطوات عملية يومية يبذل في سبيلها ما وسعه من جهد وطاقة.

لذلك لا بد من صفات شخصية تحث الفرد على البذل والعطاء، وإنّ منها ما يتعلّق بالإيمان وثمراته كالتوكل على الله والاستعانة به، وكذلك قوة الإرادة والمثابرة على العمل، ومنها ما هو سلوكي كعدم التسويف وعلو الهمة والسرعة في العمل ومغادرة مواطن الراحة.

في هذا المبحث سأتعرض لهذه الصفات والسلوكيات الشخصية التي تعين الفرد على بلوغ أهدافه، مركزاً على المنطلق التنفيذي العملي بعد معرفتنا بالكيفية النظرية لتكوين الأهداف والتخطيط لبلوغها.

١ ـ الاستعانة بالله والتوكّل عليه

لا نغفل عن أهم عوامل اغتنام الوقت وهي الاستعانة بالله، ذلك لأن الله تعالى هو خير معين لنا على إنجاز الأعمال وتيسيرها، ولا شك أن في ذلك استثماراً أفضل للوقت، كم من الأعمال تعقَّد وإذا بدعاء خالص لله ييسرها ويسهلها، ورسول الله ﷺ كان حينما يقدم على العمل يقول: «اللَّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئت سهلاً»[(١)]، واستعانتنا بالله تعالى تكون بدعائه واعتمادنا وتوكلنا عليه وحده، فلا نركن إلى أنفسنا فقط بل نعلم يقيناً أنّ الله قادر على إحداث ما يشاء، فهو خير معين لنا إن أخلصنا في الطلب، ورحم الله ابن عطاء الذي قال في حكمه بمجاز كاف: «ما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك، وما تعسر مطلب أنت طالبه بربك»[(٢)]، فالعمل الذي تريد إنجازه قد يتعسر إذا سعيت له بنفسك فقط، لكنه يُيسر إن استعنت عليه بالله تعالى.

ولقد أمرنا الله تعالى أنه حينما نقدم على أمر ما أن نتوكل عليه فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(٣)]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرُزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[(٤)]، وهذا تيسير من الله في طلب الرزق، فالطيور تذهب أول النهار خاصرة البطون من الجوع وترجع آخره ممتلئة البطون فضلاً من الله لها.

وإن تحقيق معنى التوكل والاستعانة بالله لا ينافي السعي في الأسباب، فمن عطّل الأسباب لم يصح توكله، حيث إنّ التوكّل ليس مدعاةً إلى البطالة كما يظن بعض الناس. وهذا أمر هام جداً حيث نرى كثيراً من المسلمين بين

---

(١) رواه ابن حبان، كتاب الرقاق، باب: الأدعية (ذكر ما يستحب للمرء سؤال الباري جلَّ وعلا تسهيل الأمور عليه إذا صعبت)، حديث رقم (٩٧٤).

(٢) ابن عطاء الإسكندري، الحكم العطائية، مرجع سابق، رقم ٢٥، ص٢٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب: في التوكل على الله، رقم (٢٣٤٤).

إفراط أو تفريط، يتوكلون على الله ويقعدون عن الأسباب، أو يعتمدون كلياً على الأسباب دون توكل عليه، لكن الله تعالى أمرنا بتعاطي الأسباب من عمل وجهد مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة لله، والتوكل عليه بالقلب طاعة لله أيضاً، كما جاء في الحديث أن رجلاً قال: «يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أُطلقها وأتوكل؟ قال: أعقلها وتوكل»[1]، ومن التعريفات اللطيفة للتوكل ما رواه أبو نعيم في الحلية أن بشراً سئل عن التوكل فقال: «اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب»، فقال السائل: «فسره لنا حتى نفقه»، قال بشر: «اضطراب بلا سكون، رجل تضطرب جوارحه وقلبه ساكن إلى الله لا إلى عمله»، أي جوارحه تكون مشغولة لا تسكن من العمل، وقلبه متوكل على ربه[2]. وإن دعاء الاستخارة مثال في الاعتماد على الله، وذلك حينما يريد الإنسان عملاً ما ويحتار في أمره أيقوم به أم يختار آخر، فيستخير الله ليرشده وييسّر له ما فيه الخير عاجلاً وآجلاً.

٢ ـ علو الهمة

إن مغادرة مواطن الراحة تحتاج بذل الجهد في سبيل ذلك كما تحتاج إلى همة عالية، حيث أن مواطن الهمم العليا هي مواطن معاكسة لمواطن الراحة، فحينما تسمو الأرواح تبلغ الهمم مبلغاً عظيماً، لا يسعها حدود يسيرة، فتصبح الغايات ضخمة، والثقة بالنفس عظيمة، ويسهل أمامها كل هدف، لذلك قال الشاعر:

إذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

وقد عُرّف علو الهمة بأنه «استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند

---

(١) رواه الترمذي عن أنس ﷺ، كتاب صفة القيامة، حديث رقم (٢٥١٧).

(٢) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م، جـ ٢ ص٥٠٦.

العطية، والاستخفاف بأوساط الأمور، وطلبُ الغايات»[1].

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط التأنيب واللوم، وتزجره عن مواقف الذل، وترفعه من درجات الحضيض، حتى يصل إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد، ولا شك في أنّ هذا الخلق يورد صاحبه موارد التعب والعناء، ولكنّه سبيل الوصول إلى معالي الأمور، فهو الدواء المر الذي يستسيغه المريض لكي يبرأ من مرضه[2]. جاء في مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيّم: «فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يُعبر إليها إلا على جسر المشقة، فلا تُقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد»[3].

وحثّ الرسول ﷺ على طلب معالي الأمور وترك سفاسفها، فيما رواه الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إنّ الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها»[4]. وقال ابن الجوزي رحمه الله: «من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدُّون دنيٌّ»[5]، وقال أيضاً رحمه الله: «فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يُتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير إنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يُطلب الممكن. والسيرةُ الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل»[6].

---

(١) الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص٢٨. نقلاً عن محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص١٠٧.

(٣) ابن القيِّم، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمود حسن ربيع، الإسكندرية، مكتبة حميدو، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، جـ ١ ص١٠٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٩٤)، جـ ٣ ص١٣١، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٦).

(٥) ابن الجوزي، صيد الخاطر، مرجع سابق، جـ ١ ص٣٩.

(٦) المرجع السابق، جـ ٢ ص٢٢٤.

ولقد جرت سنّة الله في خلقه ألا ينهض بالمقاصد الجليلة، ويرمي إلى الغايات البعيدة، غيرُ النفوس التي عظم حجمها، وكبرت هممها، فلم تتعلق إرادتها بسفاسف الآمال، ولا محقرات الأعمال[1]. وقف القائد صلاح الدين الأيوبي يوماً على البحر قرب عكا وقال: «في نفسي أنه متى ما يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل، قسمت البلاد وأوصيت وودّعت، وركبت هذا البحر، جزائرهم أتتبعهم فيها حتى لا أُبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت»[2].

وفي هذا يقول الإمام الشوكاني أيضاً: «ينبغي لمن كان صادق الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة، ألّا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلا ما يُراد، وأرفع ما يُستفاد، فإنّ النفوس الأبية والهمم العلية لا ترضى بما دون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه، أو مال، أو رئاسة، أو صناعة، أو حرف»[3].

ويقول الدكتور واس روبرت أنّ ثمة قاعدة أساسية في علم الإنتاج الذاتي وهي أنّ: «الأهداف السطحية تقود لنتائج سطحية»، لذلك يجب الرمي لأهداف كبيرة تتماشى مع الجهود التي يضعها الإنسان لتحصيلها، وقد قال أيضاً: «يجب دوماً الرمي نحو الأهداف العليا، والسعي وراء ما يحدث التغيير الملموس، بدل مجرد السعي في الطرق السهلة الآمنة»[4].

ولقد انتشر داء الكسل والخمول بين شباب الأمة ورجالها، فلم تعد تجد الحركة والنشاط وعلو الهمة الذي كان سمةً مميزة لسلفنا الصالح، بل تجد

(١) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٢) محمود شيت خطّاب، بين القيادة والعقيدة، مرجع سابق، ص٣١١.

(٣) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص١١١.

(٤) Wess Roberts, Leadership Secrets of Attila The Hun, New York, Warner Books, 1987, P.106.

الدعة والتراخي والإخلاد للراحة والرضى بالدون، والقعود عن معالي الأمور، حتى أصبح سمة شبابنا في الوقت الحاضر، ولدنو الهمة هذا أسباب عدة.

أسباب دنو الهمة[(1)]:

أ ـ **التوسّع في المآكل والمشارب:** فهو مما يورث البلادة ويعيق عن التركيز، وهو مدعاة للكسل وكثرة النوم. قال لقمان عليه السلام لابنه: «يا بنيّ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء»[(2)].

ب ـ **كثرة المنام:** حيث إنّ كثرته مضيعة للوقت، وهو يورث الكسل والبلادة، كما أنّ كثرة النوم تجر الفرد إلى نومٍ أكثر وهكذا حتى تضيع بركة الساعات والعمر كله، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر نومه لم يجد في عمره بركة»[(3)].

ج ـ **التحسّر على الماضي:** فإنّ الندم على ما فات لا يحقق العلياء، بل يكون ذلك بالجد واغتنام الوقت الحاضر، وإلّا يضيع الحاضر كما ضاع الماضي.

د ـ **ضعف الإرادة:** فالإرادة هي المحرّك لقوى الإنسان، فهي الكهرباء لدى الآليات الضخمة التي لا تتحرك بدونه، والهمة تكمن كمون النار في الزند ما لم توقظها الإرادة، «فجميع ملكات الإنسان وقواه تكون في سبات عميق حتى توقظها الإرادة، فمهارة الصانع، وقوة عقل المفكّر، وذكاء العامل، وقوة العضلات، والشعور بالواجب، ومعرفة ما ينبغي وما لا ينبغي، كل هذه لا أثر لها في الحياة ما لم تدفعها قوة الإرادة، وكلها لا قيمة لها ما لم تُحوّلها الإرادة إلى عمل[(4)].

(1) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص٣٩ ـ ٤٩.

(2) الخولي، الأدب النبوي، ص٢١٢. نقلاً عن المرجع السابق، ص٤٠.

(3) المرجع السابق، ص٤٠.

(4) أحمد أمين، الأخلاق، ص٥٣. نقلاً عن المرجع السابق، ص٦٩.

هـ ـ عدم تقييم الوقت: حيث إنّ الفرد الذي لا يدرك نفاسة الوقت لن يبالي بأن تكون أيامه مليئة بالكسل والخمول، فالوقت هو المادة الخام للإنسان كالخشب في يد النجار والحديد في يد الحدّاد، فكلٌّ يستطيع أن يصوغ من وقته ـ بتوفيق الله ـ حياة طيبة بالجد وجلائل الأعمال، كما أنّه يستطيع أن يصوغ من زمنه حياة سيئة، مليئة بالكسل، والخمول وسيء الأعمال[1].

إضافة إلى تلك الأسباب، ثمة عناصر أخرى تؤثّر على همة المسلمين، من ذلك غياب مفهوم الأمة المجاهدة المسؤولة والمستخلفة لإعمار الأرض وإصلاح الحياة فيها، وكذلك التربية على العبودية والخوف اللتين زرعتهما الأنظمة الظالمة في نفوس المسلمين مما ولّد الاستسلام والقعود عن النهوض لحمل الأمانة.

٣ ـ المثابرة والثبات

عندما يقسّم الهدف الكبير إلى أهداف صغيرة يبسَّط ويصبح إنجازه أسهل، بالمقابل ثمة عقبات تتبلور حينما تنظر لتلك الخطوات، وربما تكون تلك العقبات مصاعب جسيمة، لذلك ابتداءً لا تجعل أي شيء يثنيك أو يثبطك عن هدفك مهما وجدته معقداً، بل يجب أن تتساءل عن كيفية تخطي تلك العقبات والمشاكل، وإنّ البحث عن الحلول فور ظهور تلك العقبات دلالة على التفكير الإيجابي. وإنّ دراسة العقبات المتوقعة وإيجاد الحلول لها أثناء مرحلة التخطيط جزء مهم مما يسمى بالتخطيط الاستراتيجي.

وإن وضع أهداف شخصية يعني العمل على إنجازها، وهذا يتطلب المقدرة على معاهدة نفسك على المضي مهما بلغت الصعوبات، لذا لا بد من الثبات على الهدف وعدم الشعور بالإحباط مهما كلف ذلك من جهد وعقبات، واعلم أنّ بلوغ أهدافك هي مسؤوليتك الشخصية، ذلك لأننا مسؤولون عن فشلنا وعن نجاحنا.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣٦.

يقول تانر[1]: «إنك تعرف أنك على الطريق الصحيح حينما تكون صعوداً بشكل مستمر»، يقصد أنّ المشقة وبذل الجهد الكبير خلال المسير نحو بلوغ الأهداف من علامات صحتها، ذلك أنّ أي هدف كبير لا يتحقق إنجازه من دون بذل الطاقة ومواجهة الصعوبات في سبيل تحقيقه.

ولا ريب أنّ تحملك لمسؤولية القيام بهدف أو مشروع ما له تبعاته من تحمل مسؤولية الأخطاء وتخطي العقبات لأننا عندما نختار فعل شيء ما نختار معه تبعات ونتائج، كما يقول المثل الأمريكي: «إذا أمسكت بطرف العصا فهذا يعني تحملك مسؤولية الطرف الآخر»، ومن تلك التبعات تحمل الأخطاء، والأخطاء ليست عيباً، بل هي لأصحاب المبادرة دروس ووسيلة للتعلم والتطوير، وفيما بعد يتحول الفشل نجاحاً. يقول واتسون[2] مؤسس شركة الكمبيوتر المشهورة آي بي أم: «النجاح يتأتى من جهة الفشل»[3]، لعلها عبارة غامضة، لكنها تعني أن حصول النجاح يتأتى بعد الخطأ ويكون من نفس التوجه الذي حصل منه الفشل قبل التصويب والتسديد.

ولا تكاد تجد كتاباً يتحدث عن المثابرة إلا ويضرب مثلاً بالرئيس الأمريكي السابق أبراهام لينكولن، الذي كان نموذجاً للفشل المتتالي، لكنه لم ييأس وبقي مثابراً طموحاً، بعض وقفات حياته ما يلي[4]:

* عام ١٨٣١ فشل في عمله الخاص.

* عام ١٨٣٢ خسر في ترشيحه كعضو الهيئة التشريعية.

---

(١) Richard I. Winwood, Time Management, P.151.

(٢) T.J. Watson, Founder of IBM.

(٣) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.91.

(٤) Arthur L. Williams, All You Can Do is All You Can Do, But All You Can Do is Enough, P.34.

* عام ١٨٣٣ فشل ثانية في عمله.

* عام ١٨٣٦ أصيب بانهيار عصبي.

* عام ١٨٣٨ خسر في ترشيحه كرئيس للكونغرس.

* عام ١٨٤٠ خسر في ترشيحه مرة أخرى.

* عام ١٨٤٣ خسر في ترشيحه لعضوية الكونغرس.

* عام ١٨٤٨ خسر في ترشيحه لعضوية الكونغرس.

* عام ١٨٥٥ خسر في ترشيحه لعضوية مجلس الشيوخ.

* عام ١٨٥٦ خسر في ترشيحه كنائب لرئيس الجمهورية.

* عام ١٨٥٨ خسر في ترشيحه لعضوية مجلس الشيوخ.

* عام ١٨٦٠ انتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

لذلك لا غرابة أن يقول مؤسس شركة هوندا: «النجاح هو ٩٩٪ فشل»[1]، الذي يعنيه أنه لا نجاح من دون فشل، ثم تصويب ومثابرة، ثم يأتي النجاح، فمسيرة الحياة درس مستمر، فطالما أنك تعيش تتعلم كيف تعيش. وكان لهنري فورد صاحب مصنع فورد المشهور نظرة إيجابية تجاه الفشل، يُروى أن أحد مديري مصنعه نال ميزانية لمشروع ما قدرها ٢٠ مليون دولاراً، لكن نتيجة عمل ذاك المدير كانت خسارة كامل المبلغ، قال المدير بكل أسى وحزن لفورد: «إنني أعتقد أن عملي قد انتهى في المصنع»، «لا! لا شيء من هذا» رد عليه فورد، وأضاف: «إننا صرفنا الكثير جداً لتثقيفك لدرجة أننا لا نحلم أبداً أن نخسرك!»[2]، مشيراً إلى أنّ

---

(١) Soichiro Honda, Pits and Pieces, Vol.R, No.18, 1997, P.2.

(٢) Alec Mackenzie, Time For Success, P.12.

خسارة هذا المبلغ كان فشلاً كبيراً، لكنه بلا شك تعلّم من خلاله ذلك المدير دروساً كبيرة أيضاً، فاعتبر هذا المبلغ قد صُرف لتثقيف وتدريب ذلك المدير.

أحد الشركات الاستشارية في نيويورك، أصدرت دراسة حول «استراتيجية النجاح»، جاء فيها: «النجاح عبارة عن رحلة ليس مجرد موضع ما نقصده، وإنه ليس مختصاً ببعض الناس دون غيرهم، بل هو استراتيجية معيشية تستطيع من خلالها تخطي الفشل إلى النجاح»[(١)]، فالنجاح مسيرة حياتية، ليس مجرد موضع ما أو منصب ما يصل الفرد له، لذلك فإنَّ النهوض من الفشل وتصويب الخطأ والمثابرة من تلك المسيرة الحياتية الناجحة.

٤ ـ البعد عن التسويف

التسويف هو تأجيل العمل أو تأخيره للمستقبل، وهو من أعظم أسباب ضعف الفاعلية على مختلف الأصعدة، يقول ألن مكنزي: «تسويف الأعمال الهامة نوع من العجز وهو وسيلة اللافعالية»[(٢)]. ومن بين جميع أمراض إدارة الوقت يظهر مرض التسويف بأنه الأوضح، وإنَّ تأخير العمل آفة عظيمة لأنها سلسلة متصلة لا تنتهي، حتى تصبح هذه الآفة عادة تمنع الفرد من تحقيق أهدافه، فيصبح شعاره «سوف أفعل ذلك غداً»، ويأتي الغد ويصبح حاضراً ثم يمضي وتتابع الأيام، والمرء في عالم «سوف أعمل» حتى يضيع عمره، لذا يتساءل محمد الغزالي قائلاً: «أتدري كيف يُسرق عمر المرء منه؟ يذهل عن يومه في ارتقاب غده، ولا يزال كذلك حتى ينقضي أجله، ويديه صفر من أي خير»[(٣)]. لذلك لا تزال «سوف» العدو

(١) Elaima Zuker, How to Discover Your Opportunity, New York, Time Magazine with Cooperation with Success Strategies Inc., P.11.

(٢) Richard I. Winwood, Time Management, P.103.

(٣) محمد الغزالي، جدِّد حياتك، مرجع سابق، ص٢٧.

اللدود التي يلزمنا أن نحذرها، قيل لرجل من عبد القيس: أوصنا، فقال: «احذروا سوف»[1]. وقال آخر: «سوف جند من جند إبليس»[2].

فسحة الوقت ليست في المستقبل:

إنّ الشعور الذي ينتاب الشخص حال تسويفه هو أنّ فسحة الوقت ستكون أفضل في المستقبل، لكن هل سيحمل المستقبل فسحة من الوقت أم سيحمل شواغله وعوائقه الخاصة؟ يحضرني هنا حديث رسول الله ﷺ: «هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً أو غنىً مطغياً أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً[3]، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائباً يُنتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»[4]، فهذا الحديث ينبؤنا بما يحمله المستقبل لكل واحد منّا، حيث لا عمل خلال هذه الحالات وهذه الوقائع!.

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله من خلال تجربته التي عاشها ولمسها: «وقد يخيل لبعضهم أن الأيام ستفرغ له في المستقبل من الشواغل، وتصفو له من المكدرات والعوائق، وأنه سيكون فيها أفرغ منه في الماضي أيام الشباب، ولكن الواقع المشاهد على العكس من هذا أيها الأخ العزيز، فأخبرك خبر من بلغ ذلك وعرفه: كلما كبرت سنك، كبرت مسؤولياتك، وزادت علاقاتك، وضاقت أوقاتك، ونقصت طاقاتك، فالوقت في الكبر أضيق، والجسم فيه أضعف، والصحة فيه أقل، والنشاط فيه أدنى، والواجبات والشواغل فيه أكثر وأشد! فبادر ساعات العمر وهي سانحة، ولا تتعلق بالغائب المجهول، فكل ظرف مملوء بشواغله وأعماله ومفاجآته»[5].

---

(١) الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١١٤.

(٣) مفنداً: أي موقعاً في الفند، وهو كلام المخرف.

(٤) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، حديث رقم (٢٣٠٦)، وفي سنده مُحرَّر بن هارون بن عبد الله التيمي، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «تقريب التهذيب» (٦٤٩٩) «متروك»، وقال: حديث حسن.

(٥) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص١١٦ - ١١٧.

والتسويف للغد له مخاطره، فهل تضمن العيش إلى الغد؟ وإذا عشت إلى الغد فهل سيكون وقت غدك فارغاً أم سيحمل معه واجباته ومشاغله؟ يروى أنه لما قيل لعمر بن عبد العزيز وقد بدا عليه الإرهاق من كثرة العمل: أخِّر هذا إلى الغد، فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين؟[١]، وذلك لأن تأجيل العمل إلى غد قد ينتج عنه اجتماع أعمال يومين في يوم واحد. ونتيجة التسويف إمّا عدم القيام بالشيء أو إنجازه متأخراً، وفي كلا الأمرين ضرر حاصل، هذا ما جعل شكسبير يقول: «ثلاث ساعات مبكراً أفضل من دقيقة متأخراً»[٢].

وإنّ اليوم الحاضر الذي تعيشه هو ميدان عملك، فالماضي ذهب ولن تستطيع أن تؤثر عليه والمستقبل تخطط له لكنه قد يحمل ما لا تتوقع خلاله مما يثنيك عن مخططاتك، وقد قيل: «ما مضى فات، والمستقبل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها»، لذلك أهم وقت يعيشه الفرد هو «الآن»، فعلى الفرد أن يقوم بما بين يديه من عمل ومسؤوليات واضحة ولا ينتظر الأحلام البعيدة كما يقول الأديب الإنكليزي توماس كارليل: «ليس علينا أن نتطلع إلى هدف يلوح لنا باهتاً من بعيد، وإنما علينا أن ننجز ما بين أيدينا من عمل واضح بيّن»[٣]، وينصح الدكتور أوسلر قائلاً: «إنّ أفضل الطرق للاستعداد للغد هي أن نركّز كل ذكائنا وحماسنا في إنهاء عمل اليوم على أحسن ما يكون، وهذا هو الطريق الوحيد الذي نستعد به للغد»[٤].

طول الأمل يورث التسويف:

أهم أسباب التسويف طول الأمل، وهو استشعار طول البقاء في

---

(١) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٥. نقلاً عن المرجع السابق، ص١١٧.

(٢) Elaina Zuker, How to Master Your Future, P.1.

(٣) ديل كارنيجي، دع القلق وابدأ الحياة، ترجمة عبد المنعم الزيادي، مرجع سابق، ص٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦.

الدنيا، وهو يتغلب على القلب فينسى المرء أنه مهدد بالموت في كل لحظة، وهو من أخطر وأضر الأمراض على الإنسان، حيث يواجه المرء وقته ببناء الأماني والأحلام المستقبلية، والأماني لا تبني مجداً ولا تحقق أملاً، بل هي كما قال كعب بن زهير: إن الأماني والأحلام تضليل! وطول الأمل لا يجني سوى الندامة لأن العمر قصير والأجل آت، ولن يبقى من الأيام سوى صحائف الأعمال، والمسوِّف ـ إن لم يتدارك الأمر ـ يستمر بالتأجيل لطول أمله حتى يبادره الموت.

الأعمال البغيضة مدعاة للتسويف:

أخطر التسويف يكمن في أننا نسوّف أهم الأعمال إلى المستقبل لفعل أمور أقل أهمية، وذلك بسبب الراحة النفسية أو الجسدية التي نجدها عند القيام بتلك الأعمال الأقل أهمية من غيرها.

يقول وليم جيمس ـ وهو المتصف بأنه أب علم النفس في أمريكا ـ بأن هنالك ما يسمى بمبدأ المتعة في العمل وهو ببساطة أن سلوك الإنسان يتأثر إلى حد بعيد بما هو مريح وممتع له، فيميل دوماً إلى فعل الأمور المحببة والممتعة له، ويحاول جاهداً التهرب من الأعمال البغيضة وغير الممتعة له، لكن بينما يكون العمل بغيضاً على النفس، نجده في كثير من الأحيان غاية في الأهمية، لذلك إنّ ما نسوّفه في غالب الأحيان قد يكون أهم ما لدينا من الأعمال، وذلك لكونها بغيضة على النفس(١).

خطوات عملية للتقليل من التسويف:

هنالك أربع اقتراحات عملية يجب القيام بها حينما تشعر بأنك ستسوّف عملاً هاماً لمستقبل الأيام:

١ ـ **حدّد موعداً نهائياً لإنجاز العمل**: المواعيد النهائية تشعرنا بالضرورة، وعندما نواجه موعداً جاداً لإتمام عمل ما فإننا نتحرك أسرع

---

(١) Richard I, Winwood, Time Management, P.106.

وبطاقة أكبر للانتهاء منه، فقم بمعاهدة نفسك: «سأنتهي من فعل هذا الساعة الفلانية إن شاء الله» أو «سأكون منتهياً من هذا بعد ٥ أيام إن شاء الله»، فحينما تحدد موعداً نهائياً للقيام بمسؤولية ما قد تؤجله إلى فترة وجيزة ثم تقوم به قبل وصول ذلك الموعد.

٢ ـ **ابدأ بالأعمال الأكثر كراهية على نفسك**: لا شك في أننا نميل إلى البدء بالمهام السهلة والممتعة، لكن البدء بالعكس كطريقة للتغلب على التسويف أمر فعَّال، فعندما نبدأ نهارنا نكون في أعلى مراتب الطاقة، وحينذاك قد يسهل القيام بهذه المهام غير المحببة للنفس، ثم إنه بعد الانتهاء منها نقوم بالأمور الأخرى السهلة على أنفسنا، وذلك عند ضعف النشاط حينما يتقدم الوقت في النهار.

٣ ـ **تجزئة العمل المعقد إلى خطوات صغيرة**: إنّ كثيراً من الأعمال تكبر مع تأجيلها، وكلما كبر العمل وتعقّد أخافنا فنؤجله أو نهمله، لكن تجزئة العمل الكبير المعقد هو أفضل السبل لإمكان القيام به، يقول «هنري فورد»، صاحب مصنع سيارات فورد: إن المبدأ الأساس الذي بُني عليه نظام صناعة قطع السيارات وتجميعها كانت الفكرة التالية: «لا شيء صعب المنال إذا جُزّئ إلى أعمال صغيرة»، ويقول مارك توين: «إن سر التقدم يكمن في الابتداء بالعمل، وإن سر الابتداء بالعمل المعقّد يكمن في تجزئته إلى مهام صغيرة سهلة، ثم البدء بأول تلك المهام»[١].

٤ ـ **الشروع في العمل**: إذا كان العمل كريهاً على النفس يسهل تأجيله، وطالما يؤجل هذا العمل للمستقبل طالما يصعب القيام به، ويضخم في ذهن الفرد مع كونه قد يكون بسيطاً وسهلاً، ويسبب مع غيره قلقاً نفسياً لتراكم الأعمال واحدة فوق الأخرى بسبب التسويف، وبمجرد البدء في العمل المسوَّف سيظهر مباشرة حجمه الطبيعي غير المتأثر بالحالة

---

(١) Mark Twain, Pits and pieces, Vol. R, No.18, P.14.

النفسية هذه، وقد يحدث كثيراً أن تؤجل عملاً لظنك أنه صعب وكريه ولن تطيق فعله، لكنك بمجرد البدء به يظهر لك العكس وأنه سهل المنال وليس كريهاً كما ظننت، لذلك من الخطوات العملية لكسر سلسلة تسويف عمل ما من يوم لآخر هو الشروع به، ولو مجرد البدء به ثم إتمامه لاحقاً.

٥ ـ مغادرة مواطن الراحة

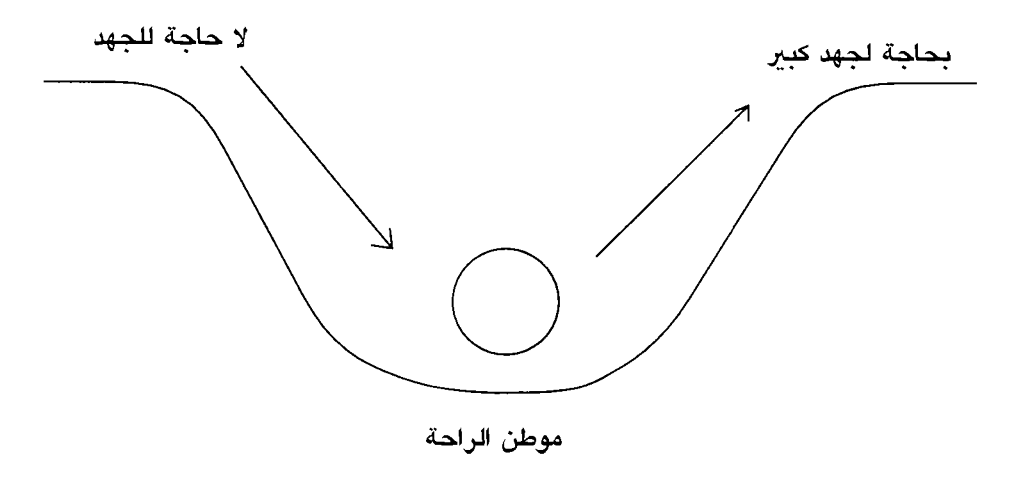
أعني بمواطن الراحة ما ترتاح له النفس البشرية من حالات وأوضاع معينة لا تحتاج الجهد الجسدي ولا العقلي الكبير، وكل إنسان لديه مواطن معينة يحب صرف وقته فيها، قد يكون موطن راحة الفرد أن يستلقي على ظهره وبيده جهاز التحكم بالتلفاز عن بعد، ويمضي الساعات في مشاهدة البرامج التلفزيونية منتقلاً بين محطة وأخرى، أما بالنسبة لآخر فقد يجد موطن راحته في الجلوس على الشرفة وقراءة المجلات السطحية التي تتكلم عن الممثلين والممثلات وتنقل أخباراً مثيرة عنهم، وقد يجد آخر أحد مواطن راحته في لقاءاته مع الأصدقاء في أوقات وأماكن مختلفة، وقد يكون موطن الراحة في كثرة النوم، ومواطن الراحة هذه منها ما هو نفسي ومنها ما هو جسدي أو كلاهما معاً.

يقول هيرم سميث في كتابه «القوانين الطبيعية العشر للفعالية في إدارة الوقت والحياة»: «إنّ تمكنك من تحقيق أي هدف يستوجب منك مغادرة مواطن الراحة»[١]. وإن الصراع دائر بين هوى النفس الإنسانية الداعية للراحة والدعة التي تجذبه للركون للأرض، وبين الروح الإنسانية المحبة للعلياء والنهوض بالأمانة وبلوغ الأهداف المنشودة. والإنسان الذي كوّنه الله من مادة التراب مشدودٌ دوماً للأرض، كموطن الراحة والأمان ومتاع الدنيا وزينتها من المال والمعيشة المريحة في البيوت الفاخرة والأطعمة الشهية، لكن الروح المؤمنة الربانية خلاف ذلك، إنها رامية للعلياء، تشده إلى غايات أسمى.

---

(١) Smith, Hyrum W., The Ten Natural Laws of Successful Time and Life Management, P.11.

لكن الصعود بهذه النفس من الركون للأرض إلى العمل الجاد يحتاج الجهد الكبير، وقد يشبه ذلك وجود الإنسان في منتصف هوة عميقة تمثل موطن راحته حيث لا يحتاج لجهد في بقائه فيها، لكن صعوده منها يحتاج لبذل الجهد والطاقة الكبيرة، وكلما بَعُد عن موطن راحته تطلب ذلك منه جهداً أكبر، وذلك كالكرة التي تتدحرج بقوة الجاذبية للأسفل وتحتاج الجهد والدفع القوي لصعودها بالجهة المعاكسة، كما نرى في الرسم أدناه.



وصرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية، بل تحتاج لتطويع وترويض تلك النفس عليها. لا شك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبُّداً لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم، وهو الجنة ونعيمها.

لا شك أن الجلوس والتراخي في البيت من مواطن الراحة لكن قد يأبى الداعي النشيط إلَّا الخروج للناس ومخالطتهم ودعوتهم وتحمل أذاهم أينما كانوا مستصغراً في سبيل ذلك تعب جسده، ولا شك أن الاطمئنان

على النفس والمال من أعظم مواطن الراحة الأساسية في حياة الإنسان حسب دراسات متخصصة في هذا المجال، لكن الكيِّس الطالب رضوان الله تعالى قد يتخطى ذلك الحاجز المادي الذي يشده للأرض، فيخاطر بنفسه وماله، بل قد يضحي بهما في سبيل أهداف يعيشها وغايات ينشدها.

ومواطن الراحة قد تتلاقى مع مواطن الكسل واللهو، وذلك إذا زادت أوقات الراحة عن حدها المعقول، فهذا لا يعني الاستغناء الكامل عن اللهو والراحة، بل لا بد من ساعات يستريح بها الإنسان ويروّح عن نفسه، لكن أن تتمحور الحياة بأكملها حول الراحة واللهو والكسل عن العمل فهو لعمري ضياع للعمر والحياة، وإن ملازمة مواطن الراحة صفة خسيس الهمة وسمة النفوس الفارغة، يقول فيها سيد قطب رحمه الله: «إنها صورة النفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف وتهزل في مواطن الجد، وتستهتر في مواطن القداسة... والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال بالقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال، فلا تصلح للنهوض بعبء ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة»[1].

٦ ـ اغتنام الساعات المباركات

لقد أطلقتُ هذه التسمية «الساعات المباركات» على ساعات الصباح الأولى مستحضراً دعاء الرسول ﷺ لأمته بالبركة خلال أوقات الصباح الباكر حيث قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[2]، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل، فتطيب أنفسنا وننشط طوال

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٤ ص٢٣٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب: ما جاء في التبكير بالتجارة. ورواه أبو داود، كتاب الجهاد (٢٦٠٦). وصححه ابن حبان من حديث صخر. واعتنى الحافظ المنذري بجمع طرقه فبلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو العشرين نفساً.

نهارنا، خلافاً لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم، وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ نشاط يومه بصلاة الفجر ومن فاتته: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإذا هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدة ثانية، فإذا هو صلى انحلت عقدة ثالثة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[1].

والفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها، فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج، والثاني نتيجته كسل وفشل، يقول الشيخ القرضاوي معلقاً على هذا الحديث: «وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة وانطلق إلى معترك الحياة، نشيط الجسم، طيب النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان!»[2].

أي الساعات هي؟

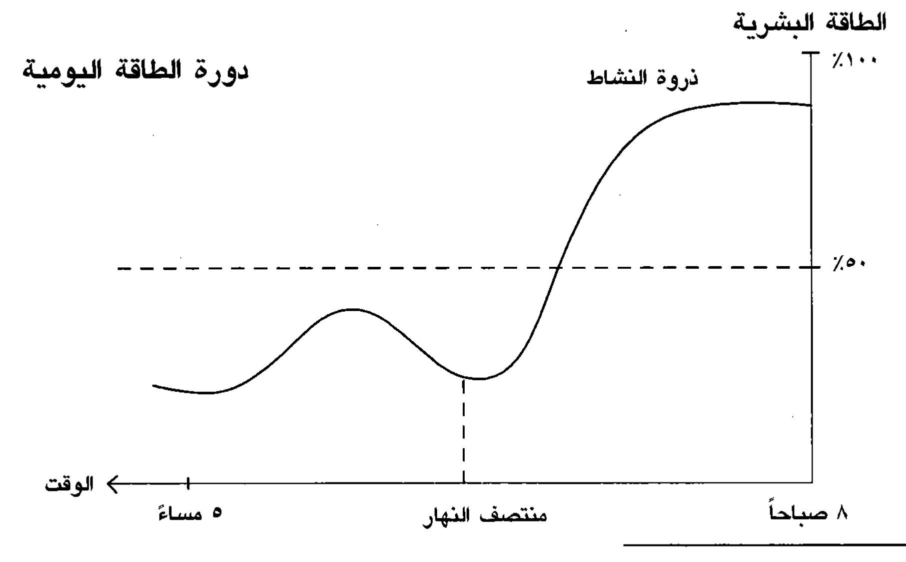
قد تتساءل أي ساعات هي تلك الساعات المباركات وكم عددها، أهي من السادسة حتى التاسعة صباحاً؟ أم من السابعة حتى العاشرة؟ أم من الخامسة حتى السابعة؟ أعتقد أنها ابتداءً من وقت الفجر أو من قبيل وقته بقليل، وقد تكون لقرابة ثلاث ساعات، هذا حسب تجربتي الشخصية، فإن الذهن خلالها صاف وتنعدم المقاطعات خلال هذه الفترة وتسبق انغماس الإنسان في معيشته اليومية من وظيفة أو عمل ما.

لم يتحدّث المسلمون فقط بأهمية هذه الساعات، بل هي مبدأ عالمي

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة، كتاب التهجد، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس، حديث رقم (١١٤٢). ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل، حديث رقم (٧٧٦).

(٢) الوقت هو حياة المسلم، الشيخ يوسف القرضاوي، ص١٣.

هام في علم إدارة الوقت أُطلق عليها «وقت الذروة»[1]، فإن للإنسان ما يسمى بدورة الطاقة النموذجية التي تتغير حسب الوقت خلال اليوم، ولقد أثبتت التجارب العلمية أن الإنسان يمتلك أعلى درجات طاقته وصفاء ذهنه عند الصباح الباكر، وقد ارتأى معهد فرنكلن للتدريب الإداري قياس الطاقة البشرية منذ الساعة الثامنة صباحاً، كما هو مبيّن نتيجته في الرسم أدناه، وهذا أمر أراه خطأ ويجب أن يكون منذ الخامسة أو السادسة صباحاً، وأعتقد أنه لو قاس هذا المعهد الطاقة البشرية من قبل الساعة الثامنة بساعتين لوجدها أكبر مما هي عليه عندها، وقد تنبّه لهذا صاحب كتاب العادات العشر، حيث أطلق عبارة «الساعات السحرية» على أنها من الخامسة إلى الثامنة صباحاً بالنسبة له[2]، واشترط أن تكون تلك الساعات خاصة بالشخص وحده، وبعيدة عن كل المقاطعات، وخارجة عن نطاق الأعمال اليومية الروتينية. وذكر ماكنزي حاجة كل إنسان إلى ساعة أو ساعات هدوء مطلق لا يتخلله أي مقاطعة، قد تحدد في أي وقت مناسب حسب الشخص، لكنها الأفضل في أبكر ساعات الصباح، وأطلق عليها اسم «الساعة الهادئة»[3].



(١) Prime Time.

(٢) Hyrum W. Smith, The Ten Natural Laws Of Successful Time and Life Management, P.9.

(٣) Alec Mackenzie, Time for Success, P.141.

وحينما أختار أن وقت الذروة أو الساعات المباركات أو الساعات السحرية ـ حسب اختلاف تسميتها ـ تبتدئ من الفجر، فهذا يعني أن نفرغها لأهم أولويات حياتنا، فنختار أهم الأعمال والمشاريع وأكثرها تطلباً لحضور الذهن وصفائه قبل البدء بروتين العمل خلال اليوم، وإن ذلك يتطلب استعداداً مسبقاً لاستغلال اليوم من أوله، وذلك بأن ينام الفرد مبكراً مع استحضار آداب النوم، داعياً الله بالأذكار المأثورة قبل نومه، مستحضراً نية صادقة للاستيقاظ لصلاة الفجر، وليستعن بما ينبهه للاستيقاظ قبيل الفجر عسى الله أن يرزقه قيام ركعتين، طالباً من الله العون والتسديد، وهذا تحضير لاستغلال الساعات المباركات واليوم كله. ومن أجل استمرارية اغتنام الساعات المباركات أرى أنّه من الضروري المحافظة على قيلولة يومية لقرابة نصف ساعة إلى ساعة واحدة والله أعلم.

وإن هذا العمل المتواضع الذي تقرؤه مثالٌ على ذلك، حيث كان معظم إنتاجه خلال الساعات المباركات، فلقد أخذت على عاتقي كتابة صفحات في علم إدارة الوقت لشعوري بأهميته لشباب هذه الأمة والعاملين لدينه، ولقد ضاق وقتي تماماً لهذا العمل، فعزمت على تفريغ تلك الساعات للعمل عليه، فكنت أكتب ما تقرأ بُعيد صلاة الفجر ولقرابة ساعتين أو ثلاث، فكان ذلك في الصيف منذ الساعة الخامسة تقريباً حتى الثامنة وخلال الشتاء منذ السابعة حتى التاسعة، وذلك لصفاء ذهني آنذاك، ولانعدام وجود أي وقت آخر أتفرغ خلاله من جميع المشاغل اليومية، ولانعدام المقاطعات خلال هذه الفترة، وصدق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله حينما ذكر أنه «من الأعمال العلمية ما لا يكتمل حصوله على وجهه الأتم إلا في الأوقات التي تصفو فيها الأذهان، وتنشط فيها القرائح والأفهام، وتكثر فيها البركات والنفحات، كساعات الأسحار والفجر والصباح، وساعات هدأة الليل والفراغ التام والسكون الكامل للمكان»[1].

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص١٠٠.

٧ ـ الأخذ بالقليل الدائم

لقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: «...وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»[١]، وهذا المبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية، وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة.

لقد أصبحت الحياة اليوم أكثر تعقيداً مما مضى، فنرى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات التي لا تستطيع إنجازها جميعاً خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسّم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر.

وإنّ المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل، مثال ذلك: مفتي بغداد الإمام المفسر الآلوسي، حيث يروي حفيده محمود شكري الآلوسي أنه كان يدرّس ـ أيام اشتغاله بالتفسير ـ ثلاث عشرة حلقة علمية في المسجد، وهنا نتساءل: كيف استطاع الإمام الآلوسي الذي كان منشغلاً في الإفتاء والتدريس طوال يومه أن ينتج تفسيره الفريد الضخم الذي قيل فيه بأنه أعجوبة فريدة لدى العلماء من بين التفاسير؟! والجواب هو: أن الإمام الآلوسي كان يكتب بأواخر الليل ورقات قليلة من تفسيره في كل ليلة، وداوم على ذلك حتى أنتج ذلك التفسير، فألفه بالمداومة على العطاء، وضم القليل إلى القليل في كل يوم وبشكل مستمر، مما أكسبه الإمامة في التفسير وقيل عنه: هو خاتمة المفسرين[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: القصر والمداومة على العمل، حديث رقم (٦٤٦٤). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم، حديث رقم (٧٨٢).

(٢) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٨١.

إنّما السيل اجتماع النقط:

وهذه فعالية ضم القليل إلى القليل بشكل مستمر فهي تشبه السيل الذي يجتمع نقطة نقطة. وبهذا المبدأ تسهل الغايات الضخمة، ورُب قائل: «إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة وتؤخذ كل خطوة على حدة»[١]. فإن من أهم لوازم النجاح وبلوغ الأهداف الثبات والاستمرارية في العمل اليومي، ولو قلّ حجمه.

يقص علينا كارينجي حكاية شجرة ضخمة نبتت منذ أربعمائة عام، وتعرضت في حياتها الطويلة للصواعق أربع عشر مرة، وهزّتها العواصف العاتية طوال أربعة قرون متوالية، ومع ذلك ظلّت الشجرة جاثمة في مكانها كأنها جبل عتيد، ثم حدث أخيراً أن زحفت جيوش الحشرات على هذه الشجرة الضخمة فما زالت بها تُنخرها وتقرضها حتى سوّتها بسطح الأرض، وجعلتها أثراً بعد عين، فتلك أعمال بسيطة لحشرات ضعيفة كالنمل قضت عليها بالمثابرة والمداومة على القليل[٢].

ولقد أخبرني أحد الزملاء أن طريقة حفظه لكتاب الله كانت بمداومته على حفظ ٣ آيات كل صباح فقط مع بعض المراجعة، وبهذه المداومة والمثابرة ولو لوقت قليل كل صباح انتهى من حفظ القرآن خلال ٦ سنوات.

ويقاس على هذا جوانب الحياة المختلفة، فتُقسَّم الأوقات وتنظم، وقت للعبادة، ووقت للنمو العلمي، ووقت لتزكية النفس، ووقت لطلب المعيشة، ووقت للزوجة والأولاد، ووقت للراحة، وهكذا.

التوازن في مصارف الوقت:

إنّ عدم تقسيم الأوقات بين الأعمال المختلفة يورث الإفراط بأعمال

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.7.

(٢) محمد الغزالي، جدِّد حياتك، مرجع سابق، ص٧٠.

والتفريط بأخرى، فإنني كثيراً ما أجد مبالغة في جانب معين من جوانب الحياة عند بعض الناس، وهذا بشكل طبيعي ينتج عنه إغفال لجوانب أخرى، فقد يبالغ أحدهم بواجب ويغفل تماماً عن واجب آخر، فيبالغ في العمل الدعوي ويغفل عن معيشة عائلته، أو يبالغ في القيام والصيام فيرهق بدنه حتى يعجز تماماً عن متابعتهما بعد حين أو عن القيام بمسؤوليات عمله اليومي، أو يبالغ في عمله لطلب الرزق فيغفل عن صلوات الجماعة وعن شأن أمته بشكل عام، والحل ما قاله رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»[١]، ومعنى الحديث كما قال المناوي في التيسير: «لا يتعمق أحد في العبادة ولا يترك الرفق كالرهبان إلا عجز فغلب، فسددوا، أي: الزموا السداد، وهو الصواب بلا إفراط ولا تفريط، وقاربوا، أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه، وأبشروا أي بالثواب على العمل الدائم وإن قلّ»[٢].

ومن هنا لم يجز المبالغة في العبادات إلى حد إعنات النفس وإيقاعها في المشقة الزائدة على المعتاد، وذلك لأن المسلم مكلف بأمور متنوعة كثيرة فإذا جاوز الاعتدال في أحدها قصّر في باقيها. فإن الكثير المرهق للنفس فيه الانقطاع، فصيام الأيام البيض الثلاثة من كل شهر بشكل دائم أفضل من صيام داود لأشهر ثم ترك صيام التطوع تماماً، وإن طلب الرزق في عمل يأخذ جزءاً من النهار أفضل من العمل طوال اليوم من الصباح إلى المساء منقطعاً عن واجبه نحو دينه وأهله بحجة أنه عندما يهيئ استقلالية مالية تامة سيتفرغ تماماً للعمل الإسلامي ولأهله والأمور الأخرى!

والأصل الاقتصاد والاعتدال في كل شيء فلا يطغى عمل على آخر،

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب: الدِّين يسر، حديث رقم (٣٩).

(٢) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص٢٢.

ولقد نصح سلمان الفارسي أبا الدرداء ﵄، حيث بالغ في عبادته فنسي حقوق بدنه وزوجته، فقال له: «إن لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقّه»، وحينما روي ذلك للرسول ﷺ قال: «صدق سلمان»[1]. ومثله ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، حيث كان يصوم الدهر ويقوم الليل أبداً، فلما أُعلم النبي ﷺ بذلك قال: «لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإنّ لجسدك عليك حقّاً، وإنّ لعينك عليك حقاً، وإنّ لزوجك عليك حقّاً، وإنّ لزورك عليك حقّاً...»[2]. وفي رواية مسلم زيادة: «وإنّ لولدك عليك حقّاً»[3]. وفي هذا كله توازن في مصارف الوقت، ومداومة على القليل الدائم من العمل ضمن واجبات الحياة المتعددة.

٨ ـ المسارعة والسرعة

إنّ ثمة عنصراً هاماً في إدارة الوقت هو السرعة في إنجاز العمل، وهذا ما يتعلق بإنتاج الفرد، والإنتاج بلغة التجارة هي نسبة الربح على التكلفة، لكنها في عالم الإدارة هي نسبة النتيجة على الوقت، فكلما قلّ الوقت في إنجاز عمل ما زادت نسبة الفعالية في العمل وارتفعت نسبة الإنتاج خلال الوقت، مهما كان هذا الإنتاج: علماً أو عملاً أو قراءةً وما شابه ذلك[4].

ومن أجل حمل أنفسنا على السرعة في أنشطتنا، ينصح الإداريون أن تضع لكل نشاط موعداً لإنجازه، لذلك «باستطاعتك رفع فعاليتك بشكل كبير، ببساطة حينما تحدد لنفسك موعداً نهائياً لإتمام كل عمل بالإضافة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، حديث رقم (١٩٦٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: حق الجسم في الصوم، حديث رقم (١١). ومسلم كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، حديث رقم (١١٥٩)، وقوله: «إنَّ لزورِك» أي: لضيفك.

(٣) رواه مسلم، كتاب الصوم، باب: النهي عن صوم الدهر، حديث رقم (١١٥٩).

(٤) Alec Mackenzie, Time for Success, P.37.

إلى الالتزام به، سبب ذلك أن معظم الناس يعملون بشكل أفضل تحت بعض الضغوط وتلك المواعيد تعطيك شعوراً دافعاً بالحاجة للانتهاء من ذلك النشاط قبل الموعد المحدد»[1]. ونذكر قانون باركينسون[2] القائل: «إنّ العمل يتمدّد ليملأ الوقت المتاح لإتمامه»، لذلك اجعل الوقت المتاح للعمل أقل فتنتهي منه بطريقة أسرع، لذلك كان عكس هذا القانون أسلوباً نافعاً في إدارة الوقت، هذا يعني أن تحدد موعداً نهائياً لكل عمل وتلتزم به[3].

مثال ذلك: سرعة القراءة، أحد نتائج دراسة مصارف وقت المدراء وُجد أن معدل ما يصرف المدير في القراءة يمثل ثلث يومه، فإذا ارتفعت سرعة قراءته فهذا سيعطيه وقتاً أكثر لأمور هامة أخرى، وذلك حينما يقرأ نفس الكمية بصورة أسرع، فنرى أنّ معدل الناس يقرأون ٢١٠ كلمات في الدقيقة، لكن من خلال التدريب على كيفية القراءة السريعة يمكنك قراءة ضعفي ذلك بسهولة[4].

وهنالك فرق بين المسارعة والسرعة، فالأول يعني المبادرة بالأعمال قبل فوات الأوان، والثاني يعني إنجازها بأقل وقت ممكن، جاء في القاموس المحيط أنّ معنى السُرْعةُ نقيض البُطء[5].

ولقد أمر الله تعالى بالمسارعة في الأعمال الصالحة قبل أن تشغلنا عنها العوائق فقال: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[7].

---

(١) Edwin Bliss, Getting Things Done, P.26.

(٢) Parkinson's Law.

(٣) Edwin Bliss, Getting Things Done, P.78-79.

(٤) Arthur K.Robertson, and William Proctor, Work A 4-Hour Day, New York, William Morrow and Company Inc., First Ed., 1994, P.70, 139.

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة: سرع.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

وأمر الله تعالى بالمسابقة إلى مغفرة الله فقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، ولقد أثنى الله تبارك وتعالى على أنبيائه بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[2]، ومدح المؤمنين الصالحين فقال: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾[3].

وهذان المبدآن هامان في اغتنام الوقت وبلوغ الأهداف، فالمسارعة في العمل تعني عدم تأجيله والشروع فيه بأسرع وقت، أمّا السرعة فتُعنى بأن نقوم به بأقل وقت ممكن، ذلك أنّ الأوّل الهدف منه ابتداء العمل سريعاً والثاني الانتهاء منه بسرعة. وفي كلا الحالتين ـ المبادرة في العمل في الحال قبل فوات الأوان وإنجازه بسرعة ـ يزيد الإنتاج الشخصي إن شاء الله.

(١) سورة الحديد: الآية ٢١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١١٤.

خلاصة المبحث الرابع

إنَّ أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ إنّ خير ما نستعين به لتحقيق أهدافنا هو الله ﷻ، وذلك من خلال ملازمة دعائه وتوكلنا عليه والاعتماد على قدرته وتدبيره في كل عمل نسعى له.

٢ ـ إنّ تحقيق معنى التوكُّل على الله لا ينافي السعي في الأسباب، ومن عطّل الأسباب لم يصح توكله، ذلك أنّ الله تعبدنا بالسعي في الأسباب بجوارحنا وبالتوكل عليه بقلوبنا.

٣ ـ إنّ تحقيق أي هدف يستوجب تخطي الصعوبات وتحمل الأعباء ومواجهة العقبات، وإنّ حصول الخطأ والفشل المرحلي طبيعي في مسيرة أي نجاح لتحقيق الأهداف العظام.

٤ ـ إنّ عادة التسويف من أخطر أمراض إدارة الوقت، حيث أنّها آفة عظيمة تمنع صاحبها من تحقيق أي هدف، حتى يصبح التسويف سلسلة متصلة من اليوم للغد والذي يليه من غير الوصول لعمل جاد.

٥ ـ إنّ النهوض من مواطن الراحة يتطلّب بذل ما في الوسع من الجهد والعزم حتى يُرتقى إلى مواطن أصحاب الهمم العليا، حينها تسمو الأرواح وتعظم الغايات وتسهل المصاعب والمتاعب لبلوغ معالي الأمور وتحقيق عظام الأهداف.

٦ ـ لكل إنسان مواطن راحة تصبو نفسه إليها، وهي أحوال ونشاطات لا تتطلب الجهد الجسدي ولا العقلي، وإنّها مواطن الدعة والتراخي والإخلاد للراحة والمتعة، ومصارف الوقت في تلك المواطن مضيعة له حيث أنّ بلوغ أي هدف يحتاج بذل الجهد ولو كرهته النفس.

٧ ـ إنّ ثمة وقتاً يزهد فيه الكثير، لكنه أثمن وقت للإنتاج والعطاء، وهو ساعات الصباح الأولى، إنها ساعات مباركات، تبلغ طاقة الإنسان خلالها مبلغ الذروة من يومه، وفيها يصفو الذهن وتقل المقاطعات، وتسهل الخلوة مع النفس للتسديد والتخطيط.

٨ ـ إنّ لاستمرارية ضم القليل إلى القليل فعالية كبرى، حيث المداومة اليومية على القيام بالجهد القليل في حقلٍ ما عظيمٌ في تأثيره وفعاليته الإنتاجية على المدى البعيد في مختلف المطالب الحياتية.

٩ ـ إنّ التوازن في صرف الوقت مطلب حيوي لكل إنسان لكي لا يقصّر في واجب أو يغفل عن آخر، ويكون ذلك من خلال تقسيم الأوقات بحسب الواجبات المتعددة.

١٠ ـ إنّ السرعة في إنجاز الأعمال تزيد في الإنتاج وتكسب وقتاً لعطاء أكثر، ولحصول ذلك يجب تحديد موعد نهائي لإنجاز كل عمل، ذلك لأنّ أي عملٍ تمتد فترة تنفيذه لتملأ الوقت المتاح له، وكلما اتسع الوقت المتاح لذلك العمل بطأ تنفيذه.

١١ ـ إنّ أمر الله في المسارعة في الأعمال الصالحة يُراد منه الشروع والمبادرة إليها قبل أن تشغلنا عنها العوائق وقبل فوات الأوان، وهي غير السرعة التي تُعنى بإنجاز الأعمال بأقل وقت ممكن، وفي كليهما اغتنام لفسحة العمر في الحياة الدنيا.